بعد قرون عديدة أزيح ذلك النقاب الكثيف الذي كان يحجب عن انظار العالم مصر العجيبة. فبينما كان جماعة من ذوي الهمم العالية يبذلون مجهودهم في اكتشاف منابع النيل كان جماعة آخرون لا يقلون عنهم شجاعة واقداماً يتغلغلون في صميم المقابر والمعابد القديمة ليكتشفوا مناهل العلم الاول القديم ومنابع المدنية ولقد كانت تلك القبور التي بُعث منها ذلك العالم العظيم سبباً في نشر العلوم التي طويت صحائفها من آلاف السنين فلم تبق مصر القديمة كما كانت من قبل ذلك اللغز الصامت المتعذر الحل بل لقد سقط النقاب عن وجه ابي الهول وحادث شواطىء النيل آهلة بسكانها الذين عمروها طويلاً قبل ميلاد المسيح بآلاف السنين واخذت تنبئنا تلك المسلات والهياكل والمعابد والرسوم والزخارف والاعمدة والنصب المنتشرة في انحاء الوادي الخصيب بمدنية عظيمة ابتعت آثارها على شواطىء ذلك النهر المقدس في مبدأ التاريخ الروماني فكان واجباً على ايطاليا ان تعمل على انهاض تلك المدنية العتيقة التي ورثتها روما وجدّدتها لتعيدها سيرتها الاولى على شواطىء البحر الابيض المتوسط التاريخية

دكتور لويجي ريتالدي
استاذ الفلسفة بالمدرسة الايطالية الملوكية

الوراثة والنشوء

٢

اتينا في العدد الماضي من المقتطف على اهم الحقائق التي توصّل اليها الباحثون في موضوع الوراثة. والباحث في نشوء العمران البشري يتساءل هل لهذه المباحث علاقة بتقدم الانسان ونشوء المدنية؟ هل نستطيع ان ننظم هذه الابحاث لنكشف اسرار الوراثة الانسانية ونقف على حقائقها؟ هل نقدر ان نفعل بالانسان كافعلنا بزهر عجد الصبح او بزور الباذلاّ؟ هل نستطيع ان نولّد جنساً من البشر قوي الجسم شديد الادراك سامي الاخلاق كما فعلنا ببزر الباذلاّ فولدنا بزراً اثقل من البزر الذي بدأنا تجاربنا به؟ والجواب ان ذلك يستحيل علينا في النظام الاجتماعيّ الحاليّ ولكننا نعرف ان بعض صفات الناس ينتقل بالوراثة حسب قانون مندل ونعرف ايضاً ان في خلايا الانسان كروموسومات كما في خلايا النباتات والحيوانات

التي استقصيت حقائقها وفعل الوراثة فيها . فنحن على ثقة تامة ان ما اكتشف من النواميس الوراثية في الحيوانات والنباتات العليا ينطبق على الانسان

ارتأى العلامة لامارك ان الصفات المكتسبة تنتقل بالوراثة من الاباء الى الاولاد او الاحفاد وانها العامل الاكبر في النشوء والارتقاء وبنى رأيهُ هذا على ما شاهدهُ في الاحياء من نتائج الاستعمال والاهمال . فالانسان الذي يستعمل يدهُ اليسرى مثلاً تقوى حتى تضارع اليمنى بل قد تفوقها اذا لم تمرّن اليمنى مثلها واذا اهملت تضعف رويداً رويداً حتى لقد تفقد قوتها تماماً . ولاحظ ايضاً ان كثيراً من الحيوانات والنباتات تتغير اشكالها بتغيير البيئة التي تعيش فيها وان التهذيب والتمرين ضروريان لكل نجاح عقلي وادبي وزاد على ادلتهِ هذه دليلاً قال فيهِ ان القوة التي تبعث في الناس حب التقدم تضعف جداً اذا اعتقدوا ان الصفات المكتسبة لا تنتقل الى ابناء الجيل المقبل او الاجيال التي تجيء بعدهُ

ولكنّ الحقائق لا تنبأ بما يريدهُ زيد او عمرو . فخلاصة ابحاث العلماء تدل على ان الصفات المكتسبة لا تنتقل بالوراثة الاّ اذا كانت ممثلة بعامل من عوامل الوراثة في احد الكروموسومات التي يتولد الجنين منها وان هذا التمثيل لا يتم على ما يعلم الآن الاّ للتغيرات الثابتة

وقد كانت هذه التغيرات الثابتة ولم تزل تحدث فجأة . والحيوانات او النبات التي تحدث فيها تقوى وتكثر اذا جعلتها اصلح للبقاء وتضعف وتنقرض اذا لم تجعلها كذلك . وعلماء الحياة لا يزالون حائرين ازاء هذه التغيرات الثابتة كحيرة العلماء الطبيعيين ازاء مظاهر الاشعاع . فهؤلاء يعلمون ان في ذرات الجوهر الفرد قوة عظيمة ولكنهم لم يروا الى استخدامها سبيلاً حتى الآن كذلك علماء الحياة يرون في التغيرات الثابتة سرّ النشوء والارتقاء في الاحياء ولكنهم عجزوا عن احداث تغيير واحد منها

على ان هنالك نوعاً آخر من الوراثة هو وراثة التقاليد او وراثة العلم والعمران . فقد كانت هذه التقاليد تنتقل في عصور التاريخ الاولى من الخلف الى السلف بواسطة حفظة الاخبار ورواتها . ولما اكتشف الانسان الكتابة اخذ يدوّن اخباره في الصخر او في قراطيس البرديّ او دروج الرق الى ان صنع الورق واستنبطت آلات الطباعة فاخذت هذه التقاليد تنتشر بطريق الكتب والصحف .

وامم العالم تقترب من الوقت الذي تتحد فيه كل هذه التقاليد وتتوحد اساليب العمران وحقائق العلم فيكون في العالم مدنية واحدة وعمران واحد

ان هذا الانتشار وذلك التوحد خطوة كبرى في سبيل نشوء العمران بل هو يقام التغيرات الثابتة في النشوء الآلي اذ يتسنى لابناء الجيل الواحد ان يبدأوا حيث انتهى اسلافهم فيستخدموا مواهبهم العقلية في كل ما يعود عليهم وعلى الاجيال المقبلة بالتقدم والفلاح. ولولا وراثة العلم والعمران لتحتم عليهم ان يبدأوا حيث ابتدأ الانسان الاول ولتعذر الارتقاء الاجتماعي والعلمي والسياسي والادبي

فارتقاء البشر كان بالاكثر ارتقاء التقاليد والعمران. والفرق بين ابناء القرن العشرين الآن وابناء القرن العشرين قبل المسيح ان ابناء قرننا ورثوا عمران المصريين واليونانيين وغيرهم من الامم التي زهت مدة اربعة آلاف سنة . وان ابناء القرن العشرين قبل المسيح كان عليهم ان يبتنوا عمراناً جديداً من لا شيء . واذا اعتبرنا ما يقوله العلماء من ان الفرق بين تركيب ابداننا وتركيب ابدانهم لا يذكر وان قوة مداركهم كقوة مداركنا بوجه علم عرفنا اهمية الارث الاجتماعي الذي حصلنا عليه

لكن التدريب والتهذيب كانا ولم يزالا ضروريين لانماء الملكات الصالحة للنمو ولكنهما لا يجديان نفعاً اذا كانت تلك الملكات غير صالحة للنمو او اذا لم تكن موجودة على الاطلاق . قال وليم جيمس اذا وضعنا اجيالاً من الكلاب اعواماً متوالية في متحف الفاتيكان وحوّلنا نظرها الى اشهر الصور فيه لما نمت فيها الحاسة التي تشعر بالجمال وتستحسنه

وفي الجنس البشري ما هو صالح للنمو والتقدم وما هو غير صالح لهما. فالناس يختلف بعضهم عن البعض في قوة اجسامهم وعلوهمتهم وسموّ مداركهم فاذا شئنا رفع المستوى البشري بالانتخاب علينا ان نعزل بعض الافراد الذين قوام العقلية السامية وبنيتهم القوية موروثة اباً عن جدّ اي ان نسبهم البيولوجي نسب صريح ونفسح لهم مجالاً ليتكاثروا . فالنشوء في القوى الجسدية والعقلية قائم على تغيرات تؤثر في عوامل الوراثة وليس من دليل على ان النشوء قد بلغ اقصى حدّه وان التغيرات الثابتة لا تتم الآن ولا ان قوانا العقلية قد بلغت الذروة التي لا ذروة فوقها